

**كلمة مدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم (الكسو) الأستاذ الدكتور عبد الله حمد محارب**

في الجلسة الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيدات والسادة

نجتمع اليوم لنناقش مستقبل اللسان العربي في ظل واقع عالمي سماته الجلدية هي الارتباك والتخبط، والسعى إلى تبييع الهويات الثقافية للأمم المغلوبة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً. وليس ذلك فحسب، بل نحن في الواقع يفرض فيه الغربُ (الغالبُ) علينا جزيات حضارية وثقافية، تدفعنا دفعاً إلى الانهيار في الدفاع عن ماضينا والذهول عن مستقبلنا. لذلك اسمحوا لي أن أشكُر القائمين على هذا المؤتمر لاختيارهم محاور هي في قلب ما نمرّ به من أزمة ثقافية من حيث أهميتها وإلحاحها. فقد طرحوا علينا مفاهيم نحن في وطننا العربي في أمس الحاجة لاستبيانها وفض ما استغلق منها وتطبيقها على واقعنا، وهي : مجتمع المعرفة، صيانة الهوية، وبناء المستقبل.

إن مجتمع المعرفة الذي نسعى إليه ليس مجتمع المعلومات، بل هو المجتمع الذي يقف على هذه المعلومات والبيانات ويخلاص منها إلى معرفةٍ تمكنه من الارتقاء بوضع مجتمعاتنا العربية. ففي عالم يمور بشتى صنوف المعلومات

الصحيحة والزائفـة، الدقيقة والمدلـسة، تطـفر الحاجـة إلى صياغـة نظام فـكري عام يـجمع هذا الشـعـث وينـظـمه في إطار منـضـبـطـ. ولـعلـ أكثرـ ما يـعـوزـناـ عندـماـ نـتـحدـثـ عنـ اللـغـةـ العـرـبـيـةـ هوـ هـذـاـ النـظـامـ الجـامـعـ الحـاكـمـ الذيـ يـسـتـطـيعـ أنـ يـُـسـخـّـصـ أـزـمـنـةـ اللـغـوـيـةـ تـشـخـيـصـاـ كـلـيـاـ، يـبـأـيـ عنـ مـوـارـدـ الـزـلـلـ المـتـمـثـلـةـ فيـ رـأـيـهـ فيـ الـانـهـاكـ فيـ الـجـزـئـاتـ، وـغـلـبـةـ الـعـاطـفـةـ عـلـىـ التـدـبـرـ وـالتـخـطـيـطـ الـفـعـالـ. فـعـلـ سـبـيلـ المـثالـ، هـلـ هـنـاكـ مـنـ قـامـ بـمـسـحـ وـقـفـ فـيـهـ عـلـىـ عـدـدـ الـمـخـطـوـطـاتـ غـيرـ الـمـشـوـرـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـعـلـومـ اللـغـةـ العـرـبـيـةـ الـمـخـبـوـءـةـ فـيـ مـكـتـبـاتـ الـعـالـمـ شـرـقاـ وـغـربـاـ؟ هـلـ ثـمـةـ درـاسـةـ تـدـلـنـاـ عـلـىـ مـوـضـوعـاتـ النـحوـ وـغـيرـهـاـ التـيـ لـمـ تـدـرـسـ بـهـاـ تـسـتأـلـهـ مـنـ دـرـسـ؟ هـلـ ثـمـةـ إـحـصـاءـاتـ حـقـيقـيـةـ وـاقـعـيـةـ قـامـتـ بـهـاـ الـدـولـ مـنـ أـجـلـ التـعـرـفـ عـلـىـ وـاقـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـأـزـوـمـ؟ وـمـاـ هـيـ الـدـولـ الـتـيـ جـعـلـتـ مـنـ قـضـيـةـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـمـاـ تـمـ بـهـ مـنـ أـزـمـةـ شـاغـلاـ يـشـغـلـهـاـ وـهـنـاـ تـهـمـ بـهـ؟ هـلـ ثـمـةـ اـسـتـقـرـاءـ لـلـجـهـودـ الـتـيـ تـقـومـ بـهـاـ الـمـجـامـعـ الـلـغـوـيـةـ، وـالـجـهـاتـ الـتـشـرـيـعـيـةـ، وـالـمـراـكـزـ الـبـحـثـيـةـ، وـالـمـؤـتـمـراتـ (وـمـاـ تـخـرـجـ بـهـ مـنـ تـوـصـيـاتـ)، وـمـنـظـمـاتـ الـمـجـتمـعـ الـمـدـنـيـ الـمـهـتـمـةـ بـقـضـيـاتـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـتـقـيـيمـ لـأـثـرـ تـلـكـ الـجـهـودـ فـيـ الـاـرـتـقاءـ بـمـسـتـوـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ مـجـمـعـاتـنـاـ الـعـرـبـيـةـ؟ـ!

وـإـذـاـ كـانـ النـقـدـ هوـ مـلـقـىـ السـبـيلـ الـذـيـ تـجـتـمـعـ عـنـدـهـ روـافـدـ الـمـعـرـفـةـ الرـصـيـنةـ، وـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ بـنـقـدـ أـنـفـسـنـاـ أـوـلـاـ. لـقـدـ اـجـتـهـدـتـ الـأـلـكـسـوـ مـنـذـ نـشـأـتـهـ الـأـوـلـىـ مـنـ أـجـلـ الـنـهـوـضـ بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـلـكـنـهـ، دـوـنـ مـوـارـبـةـ أوـ مـدارـاـةـ، جـهـدـ الـمـقـلـ. فـقـدـ كـانـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ إـسـهـامـهـاـ أـكـبـرـ مـنـ ذـلـكـ، وـأـوـقـعـ فـيـ نـفـسـ الـمـوـاطـنـ الـعـرـبـيـ وـعـقـلـهـ وـرـؤـيـتـهـ لـثـقـافـتـهـ وـلـغـتـهـ، إـلـاـ أـنـ ثـمـةـ حـوـائـلـ كـثـيـرـةـ حـالـتـ دـوـنـ ذـلـكـ، أـخـطـرـهـاـ، فـيـ ظـنـيـ، غـيـابـ الـنـيـاتـ الصـادـقـةـ، وـاتـخـاذـ الـكـلـامـ عـنـ لـغـتـنـاـ وـهـوـيـتـنـاـ وـثـقـافـتـنـاـ تـكـأـ لـأـغـرـاضـ أـخـرـىـ تـبـتـغـيـهـ مـاـ تـبـتـغـيـهـ مـنـ غـيـاـيـاتـ سـيـاسـيـةـ وـحـزـبـيـةـ أـوـ دـعـائـيـةـ. فـمـاـ كـانـ مـنـ جـهـودـ الـأـلـكـسـوـ إـلـاـ أـنـ اـقـتـصـرـتـ عـلـىـ إـقـامـةـ الـورـشـ وـالـمـؤـتـمـراتـ، وـنـشـرـ الـكـتـبـ الـاـسـتـشـادـيـةـ عـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـكـيـفـيـةـ تـعـلـيمـهـاـ، وـتـرـسيـخـ مـارـسـتـهـاـ فـيـ الـتـعـلـيمـ الـمـدـرـسـيـ، فـضـلـاـ عـنـ التـعـرـيبـ وـنـشـرـ مـعـاجـمـ

المصطلحات الموحدة، وغيرها من الإنجازات المحمودة. ولكن .. يبقى ما يبقى في النفس من تساؤلات عن ثمار هذه الجهود وجدوها. فعلى سبيل المثال، لماذا، وعلى الرغم من بذل كل هذه الجهود من جانب الألكسو ومن جانب بعض حكومات الدول العربية، ينحسر استخدام اللغة العربية الراقية في العالم العربي يوماً بعد يوم .. لماذا تترسخ أقدام اللهجات العامية المحلية كل يوم في بلداننا العربية على حساب اللغة الأم الجامعة، ولماذا اكتسبت اللغات الأجنبية فوقية وحظوظه واحتراماً إزاء لغتنا العربية؟.. ربما نعرف جميعاً الإجابات عن تلك الأسئلة، بيد أن معرفتنا هذه لا تستند إلا على قرائن المعايشة، والشعور، والحدس. ما نحتاجه الآن هو البحث العلمي الذي يستقي مدخلاته من إحصاءات وبيانات رسمية دقيقة.. بحث يستعين بتقنيات مجتمع المعرفة التكنولوجية، وأساليب التخطيط الاستراتيجي، وبمناهج التخطيط اللغوي (language planning) .. بحث يتخطى توصيف الأزمة وأسبابها إلى وضع حلول واقعية إجرائية ناجعة.

لذلك أدعوكم إليها الإخوة إلى محاولة النظر في قضية اللغة العربية نظرةً جديدة، مختلفة، تستلهم تجارب الآخرين، وتستوعب دروس التاريخ (فما اندثار اللغة اللاتинية بعيد وقد ملأت الأرض ثقافةً وعلمًا!).. أدعوكم إليها الإخوة إلى وضع استراتيجيات واقعية إجرائية تتناءى عن الشعارات والعاطفة، وتستشعر خطورة الأزمة. فما زال الأمل يحドوني في أن يرى أهلُ الحل والعقد في عالمنا العربي خطورة أزمات الهوية، والثقافة واللغة في أوطننا العربية، وأن يستشعروا أن مغبات تلك الأزمات وأثرها في حاضرنا ومستقبلنا لا يقل بحال من الأحوال عن أزمات المال والسياسة مغبةً وأثراً!

والله من وراء القصد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،